

المحاضرة الثانية

مفهوم الحداثة عند العرب

إن "الحداثة" ليست موضوعاً أدبياً فحسب، ولا هي تصور خاص بالنثر والشعر واللغة. ولكن "الحداثة" في جميع دالاتها تمتد إلى معظم ميادين الحياة، تحمل معها الفكر والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والأدب¹. يقول كمال أبو ديب: "الحداثة انقطاع معرفي؛ ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث، في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني، وكون الله مركز الوجود، وكون السلطة السياسية مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية إذا كان ثمة معرفة يقينية، وكون الفن خلقاً لواقع جديد...". وتقول خالدة سعيد: "...غير أن الحداثة أكثر من التجديد"، ثم تقول: "ترتبط الحداثة بصورة عامة بالانزياح المتسارع في المعارف وأنماط العلاقات والإنتاج على نحو يستتبع صراعاً مع المعتقدات، أي المعارف القديمة التي تحولت بفعل ثباتها إلى معتقدات"، ثم تقول عن (جبران) مؤيدة له: "يجعل جبران الإنسان مصدراً للمعايير بدلاً من أن يكون خاضعاً لمعايير من الخارج... كان جبران يستعيد للإنسان صلاحية وضع المعايير، وكسر الشرائع، وكشف الحقائق"².

ويورد محمد برادة في مقاله (اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة) نصاً عن (جان بودريار): "ليست الحداثة مفهوماً سوسولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً يحصر المعنى، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقيد"³. ويورد فيها كذلك التمييز - كما فعل "هنري لوفيفر" بين العصرية "Modernism" والحداثة "Modernité"؛ فالعصرية هي الوعي الذي تكونه عن نفسها العصور والحقب والأجيال المتتالية... "بينما الحداثة: تفكير بادئ، وتخطيط أولي...، إنها محاولة للمعرفة... إن

¹ - مالكوم برادي، جيمس ماكفلرن، وكتاب آخرون: الحداثة 1890 - 1930، ترجمة مؤيد حسن فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، 1987، ص 34-37.

² - مجلة فصول، المجلد (04)، عدد (03)، سنة 1984، ص 25-32.

³ - المصدر السابق، ص 12.

الحدثات تختلف عن العصرية مثلما يختلف تفكير ما عن الوقائع⁴. ونلاحظ هنا تعارض ترجمة المصطلح مع غيره، واختلاف المفهوم أيضا.

يتساءل "Anthony Giddens" في كتابه "The Consequences of Modernity" "نتائج الحدثات" فيقول: "ما هي الحدثات "Modernity"؟"، ثم يضيف: "لعلنا نستطيع أن ندرك محتواها حين نقول إن الحدثات تشير إلى صيغ وأشكال اجتماعية أو تنظيمات ومؤسسات، برزت في أوروبا بحدود القرن السابع عشر، وامتدت بعده حتى أصبحت منتشرة عالميا في تأثيرها. إن هذا التعريف يربط الحدثات بزمن ومكان، ولكن يحتفظ بخصائصها مخزونة في صندوقها الأسود".

ويورد فريديريك نيتشه "Friedrich Nietzsche" تعريف الحدثات كما نقله عنه بول دومان "Paul de Man" حيث يقول: "إن الحدثات اليوم توجد على صورة رغبة مسح كل شيء وصل من الماضي، على أمل أن تجد في النهاية لحظة تعتبرها الحاضر الحقيقي أو نقطة الأصل، لتنتقل منها من جديد..".

فالحدثات - في جميع الحالات إذن - مسح وإلغاء للماضي كله، لكل شيء فيه ووصل منه. ولندرك أهمية هذا التصور نورد تعريفا آخر للدكتور "كمال أبو ديب" يزيد الصورة في أذهاننا وضوحا، ويبين لنا ارتباط الحدثات في بلادنا بالحدثات الأوروبية، ويجدورها. يقول كمال أبو ديب: "الحدثات انقطاع معرفي؛ ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث، في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية، والفكر الديني، وكون الله مركز الوجود، وكون السلطة السياسية مدار النشاط الفني، وكون الفن محاكاة للعالم الخارجي. الحدثات انقطاع؛ لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر، والفكر العلماني (اللا ديني)، وكون الإنسان مركز الوجود، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار

⁴ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية، إذا كان ثمة معرفة يقينية، وكون الفن خلقا لواقع جديد...⁵

ويتحدث صالح جواد طعمة في مقالته (الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحدث) في مجلة (فصول) عن مفهوم (الحدث)، ثم يعدد خصائصها بالنقاط التالية: "الرؤية؛ أي النظرة للعالم والحياة، التأكيد على الذات حيث تجسد الحدث الداخل، والزمن الأفقي اللامعاد، أو الأفقي والعمودي، على وجهتي نظر واحدة "لكالنسكو"، والأخرى لجبرا، والغموض. ويقول: "إن الحدث الغربية في جوهرها تعكس معارضة جدلية ثلاثية الأبعاد: "معارضة للتراث، معارضة للثقافة البرجوازية بمبادئها العقلانية والنفعية، وتصورها لفكرة التقدم، ومعارضتها لذاتها كتقليد أو شكل من أشكال السلطة أو الهيمنة؛ أي أنها لا تمثل انفصالا عن الماضي، ورفضاً لمقاييسه الثابتة، أو ثورة على القيم البرجوازية السائدة فحسب. بل ثورة دائمة أبدية في تطلعها المستمر إلى قيم جديدة، وأشكال أو أساليب تعبيرية جديدة، ومعضلتها تتجسد. كما يقول "هاو" في أن عليها أن تكافح دائما دون أن تنتصر، إذ أن انتصارها معناه أن تفقد سمة الحدث"⁶.

⁵ - المصدر نفسه، ص 37.

⁶ - المصدر نفسه، ص 14.